

الإبستمولوجيا النسوية الأفرو - أمريكية
Feminist epistemology Afro – American

كمال بوناب⁽¹⁾، جامعة عنابة
bounab.kam@live.fr

تاريخ القبول: 2019/01/05

تاريخ الإرسال: 2018/11/30

ملخص:

نجحت الباحثات النسويات في جذب الانتباه إلى حجب وسوء تمثيل النساء في البحوث الأكاديمية، وانصبَّ اهتمامهنَّ على كشف هذا التحيز للمحورية الذكورية والعمل على تصحيحه، بدءاً من اعتراضهن على ما يسود الوضعية من تفكير ثنائي، وصولاً إلى طرح أساليب بديلة للتفكير في الحياة الاجتماعية موازاةً مع العملية البحثية، انتهاءً إلى انتقاد الفصل الزائف بين الذات والموضوع (أي بين الباحث والمبحوث) على أساس أنه نوع من التراندنسنتالية المصطنعة وغير المرغوب فيها؛ ودون إنكار دلالة وأهمية تلك المساهمات النسوية المبكرة، كان من الهام الإشارة إلى أنّ فئة واسعة من النسويات الرائدات ركّزن على النساء باعتبارهن "فئة عامة" وأغفلن التنوع والتعددية القائمة فيما بين حيوات وتجارب النساء، فغالبية البحوث النسوية ركّزت على القضايا التي تهمّ النساء البيض، مع تجاهل ما تُعنى به النساء الملونات خصوصاً المنتميات منهنّ إلى الطبقة العاملة.

الكلمات المفتاحية:

النسوية - النسوية السوداء - التقاطع - الموقعية - العنصرية

Abstract:

Feminists have succeeded at drawing more attention to the neglect and misrepresentation of women in academic

(1) - المؤلف المراسل.

research. Their focus has been on uncovering and correcting the aforementioned bias toward masculinity. They start their campaign by opposing the ongoing double standard situation which features prevailing stereotypes, before suggesting alternative ways of considering social life along with the process of research. They also criticize the fake separation between the subject and the self (i.e., between the researcher and what is being researched) claiming that it is a kind of artificial and undesirable transcendentalism ; and without denying the value and importance of these early feminist contributions, it was worth indicating that a broad group of pioneering feminists have put emphasis on women as “general category” and overlooked the diversity and pluralism existing between the lives and experiences of women. The majority of women researchers have focused on issues of concern to white women, while ignoring the concerns and difficulties of « colored » women, especially those belonging to the working class.

Keywords: Feminism, Black feminism, Intersection, Positionality, Racism.

مقدمة:

تحاول هذه الورقة البحثية التحقق من صحة الفرضية القائلة بأنّ الفشل في تحقيق العدالة الكاملة في مجال الاختلافات العرقية لا يمكن أن يكون مقوّضاً لجهود تمت قبل قرن من الزمن؛ جهوداً حاولت إدراك الروابط البيئية بين النوع والطبقة الاجتماعية، انطلاقاً من أنّ قضايا النقصان، الخطيئة والسقوط لا يمكن أن تجعل من المرأة متجرّدة من أيّ مسؤوليات تجاه بلدها وعرقها، والمرأة السوداء، شأنها شأن نظيراتها البيض، تضطلع بدورها في أي محاولات تهدف إلى إصلاح المجتمع.

غالباً ما تُصنّف النسوية السوداء على أنها تنتمي لـ "الموجة الثالثة" في تاريخ السياسات النظرية والنسوية، وهي الفترة التي يُورّخ لها عادةً بثمانينات القرن المنصرم، غير أنّ المحور الأول من هذه الورقة البحثية يسائل صِدقية هذا الافتراض في ظلّ شواهد تركيز ملوّّات القرن التاسع عشر، وما تلاه، على قضايا كانت في صميم نضال نسويات الموجتين الأولى والثانية، من قبيل حقوق

التصويت، التوظيف، الحقوق الإنجابية والثقافة الأبوية؛ ولأن من ميزة أجندة النسوية الأفرو أمريكية انتقاد المفاهيم العالمية والمركزية الأوروبية حول قضايا العنصرية والأنوثة، فقد كان هذا دافعاً لأن يُركّز المحور الثاني على تأثير هذه النزعة الشكوكية في بناء "نظرية اجتماعية" قائمة على مناهج كيفية تعتمد على تبني تجارب النساء بدلاً من استبعادها؛ في حين عني المحور الأخير بفحص آفاق تطور هذه الإبستمولوجيا في ظل الانتقادات الموجهة لها؛ بناءً عليه تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عن الإشكالية التالية: كيف ساهمت الإبستمولوجيا النسوية الأفرو - أمريكية في تطوير المفاهيم، الفلسفات، والبرامج الفكرية التي من شأنها أن تساعد على تلبية متطلبات الأجندة النسوية كتقليد نظري؟

أولاً - تاريخ الحركة النسوية السوداء:

يُورَّح عادة لـ سوجورنر تروث Sojourner Truth على أنها رائدة في قيادة الفكر والممارسة النضالية النسوية الأفرو - أمريكية، ففي سنة 1852 رفضت النساء البيض مشاركتها في المؤتمر السنوي الثاني لحركة حقوق المرأة بـ أكون، أوهايو، على أساس أنه من غير المناسب أن تعطي المرأة السوداء المنصة؛ كانت العبارة المتشاركة بينهن، بشكل غوغائي، آنذاك "لا تدعها تتحدّث، لا تدعها تتكلّم" "Don't let her speak"; قبل ذلك وُثق بأن سوجورنر قادت مسيرة مناهضة للرق في ولاية إنديانا، وحين صاح فيها رجل أبيض، تعبيراً منه عن ازدراء الثقافة الأمريكية وعدم احترامها للأنوثة السوداء، "أنا لا أعتقد حقاً أنك امرأة" "I don't believe you really are a woman"، كانت ردّة فعلها بأن كشفت عن ثدييها. (Hooks, 1982, p159).

أشارت آنا جوليا كوبر Anna Julia Cooper منعطفاً هاماً في قضية النسوية السوداء عندما أصدرت كتاب "صوت من الجنوب" سنة 1892*؛ آنا

* للاطلاع على الكتاب أنظر:

Anna Julia Cooper. (1989). *A voice from the South*, Oxford University Press, U.S.A.

خريجة جامعة السوربون قدّمت تحليلاً ما بين ثقافتين ثورتي فرنسا وهاييتي، لتكون بذلك من الأوائل الذين أشاروا إلى اعتماد الرأسمالية المبكرة على العبودية في عصر الثورات؛ بحسب فيفيان ماي Vivian May فإن عمل كوبر يجب أن يُدرج في تصاميم "باريس السوداء" Black Paris ضمن مقاربة نهضة هارلم Harlem renaissance (May,2007, p,p 1,3).

أبدى المؤرخ النسوي تجاهلاً لجهود سوجورنر وكوبر، فقد ظنّت كل من باربرا بيرغ، جون سوشن، شيلا روبروثان، باربرا ديكاردا، لوسي ستون وإليزابيث ستانتون، إعتقن بأنّ الإصلاح الاجتماعي الذي سعت له النسويات الملونات من شأنه أن يؤثر في المقام الأول على النساء البيض، ما يشي بأنّ الحركة النسوية السوداء كانت منفصلة تماماً عن قضية حقوق المرأة، وفي ذلك تميل هؤلاء إلى التأكيد على أنّ المرأة السوداء في القرن التاسع عشر كانت تلتزم بالكفاح ضد القضاء على العنصرية أكثر من أن تنصبّ جهودها على نيل الخطوة من كونها امرأة؛ شاهد ذلك أنّ جون سوشن June Sochen في كتابها "قصتها" Herstory وسمت الفصل الثالث بـ "الحركة النسوية"، في حين ناقشت هموم النساء السود في فصل عنوانه "المشاكل القديمة: الأمريكيون السود" Old problems: Black Americans؛ إنّ في هذا تصنيفاً يشير إلى أن منظمات المرأة السوداء ظهرت كجزء من الجهد العام للسود لإنهاء العنصرية وليس كجزء من مشاركتهم في حقوق المرأة (Hooks,1982,p162).

يدعم ذلك أنّ النساء البيض انخرطن في جماعات مجتمعية كانت حكراً عليهن (اتحاد اعتدال النساء المسيحيات، جمعية المسيحيات الشابات، الفدرالية العامة لنوادي النساء)، بالمقابل عرّفت النساء السود أنفسهن عرقياً (رابطة النساء الملونات، الاتحاد الوطني للمرأة الأفرو-أمريكية، الرابطة الوطنية للمرأة الملونة)، ولأنهنّ قدّمن أنفسهن على أساس العرق، يفترض المؤرخون أنّ اهتمامهنّ بالارتقاء بالسود كمجموعة عرقية طغى على اهتمامهنّ بمشاركة المرأة في جهود الإصلاح الاجتماعي (Hooks,1982, p163)؛ غير أنّه في أواخر

سبعينات القرن العشرين كانت المجالات النسائية تعجّ بالانتقادات والاثتهامات الذاتية حول "بياض" Whiteness الحركة النسوية، إشارة إلى وجود أعداد متزايدة من مجموعات النساء الملونة، وأشتهرت في هذا الجانب الكاتبة سارة إيفانز؛ فسياسات الهوية، في ذلك الوقت، كانت مدعاةً لبهجة مجموعاتٍ مهمّشة في السّابق، ولكنّ أيّ محاولةٍ للنّحت خارج قواعد التعاون ووجهات النّظر المشتركة لم تكن واردةً في كثيرٍ من الأحيان. (Breines, 2006, p154).

قدّمت باتريشيا هيل كولينز Patricia Hill Collins رؤية متفرّدة لهذه التجربة في تاريخ الحركة النسوية السوداء، حين أشارت إلى مفهوم "مصنوفةٍ من الهيمنة" Matrix of domination يتفوّق فيها تقدير أهمية العرق والنوع الاجتماعي في صلتها ببعضهما البعض، مما يؤدي إلى إيجاد رؤية إبستمولوجية متميّزة ترعاها "نظم القهر المتداخلة"؛ وحدهم الباحثون المجدّدون المعترضون، حسب كولينز، القادرون على طرح أسئلة غير نمطية يتحدّون بها جسد المعرفة القائم، وحدهم من يكون في إمكانهم إسماع "صوت من لا صوت لهم" بما فيهم النساء الملونات. (بيبروليفي، 2011، ص80).

ابتكرت النسوية السوداء كيمبرلي كرينشاو Kimberlé Crenshaw مصطلح "التقاطع" Intersectionality كوصفٍ للاضطهاد المتعدّد الذي تعاني منه المرأة السوداء؛ الأمر أشبه بمفترق طرقٍ تتقاطع فيه حركة المرور يكون فيه السّير متّاحاً في الاتجاهات الأربعة، قد تتدفّق الحركة من اتّجاه واحد مثلما قد تتدفّق من اتّجاهٍ آخر، وبالتالي فالإصابات النّاجمة عن حادثٍ في مفترق الطّرق هذا (والذي تتعرّض بموجبه المرأة السّوداء للأذى) قد ينجم عن جانب التمييز العنصري أو طريق التمييز الجنسي، وفي بعض الأحيان طبيعة الضّرر تُوحى بأنّ الانزلاقات وقعت في آنٍ واحد، وسيُلي ذلك جهوداً مُحبطة لتحديد ماهية السّائق المتسبّب في الأذى. (Crenshaw, 1989, p139, 167).

وجدت الناشطة السوداء جوزيفين روفين Josephine St Pierre Ruffin أنّ النساء الملونات لا يمكنهنّ الاعتماد على نظيرتهن البيض، فدعتهنّ إلى تنظيم

أنفسهن للتصدّي لقضاياهنّ بأنفسهنّ؛ كان ذلك في المؤتمر الوطني الأول للمرأة الملونة في بوسطن 1895؛ أعقبَ هذا بأنْ صدحتْ المناذية بحق الاقتراع للمرأة فاني وويليامز Fannie Barrier Williams بالتضامن السياسي فيما بين النساء كدعامة لإحداث تأثير مُتوقع على الثقافة الأمريكية؛ جزءٌ غير يسير من هذه التطورات المتراكمة يدينُ إلى رئيسة الرابطة الوطنية للنساء الملونات ماري شيرش تيريل Mary Church Terrell بفضل دعواتها للمساواة الجنسية في المجال التربوي من جهة، والضجّة الأكاديمية التي أحدثتها مؤلّفها "امرأة ملوّنة في عالم أبيض" من جهة ثانية. (Hooks, 1982, p, p162, 164).

تركتْ جويس ميتشيل كوك Joyce Mitchell Cook بصمتها في أنْ تكون أول أفرو-أمريكية تنال شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة يال سنة 1965 في نظرية القيمة؛ بينما كانت أنيتا كاستيليتو Anita Allen Castellitto أول أفرو-أمريكية تحصل على الدكتوراه والجي دي من هارفارد؛ هذه التطورات دفعت بالنساء الفلاسفة السود إلى التكتل في Collegium سنة 2007 بقيادة كاترين جينز Kathryn T. Jines. (Davidson and others, 2010,p2).

تُقرُّ بيفرلي شيفتال Beverley Guy Sheftall أنّ النسوية السوداء ليست متجانسة، ستاتيكية أيديولوجياً، وهناك تنوّع كبير بين النسويات الأفرو-أمريكيات في ظل نقاط معيَّنة ثابتة؛ شيفتال تحدّد خمسة أعمدة لتحديد هوية النسوية السوداء: (Sheftall, 1995,p2).

تعاني النساء السّود من نوع خاص من المعاناة والاضطهاد على أساس: العرق، الجنس والطبقة الاجتماعية (هوية مزدوجة: عرقية/جنسية مع محدودية وصولهنّ للموارد الاقتصادية).

هذا الخطر الثلاثي Triple jeopardy يُوحى بأنّ مخاوف واحتياجات النّساء السّود مختلفة في مناحٍ كثيرة عن تلك المتعلقة بالنساء البيض أو الرجال السود.

يجب على المرأة السوداء أن تناضل من أجل تحرير السود، نوع الجنس، المساواة؛ كلّها في آنٍ واحد.

لا يوجد تناقض متأصل في الكفاح من أجل القضاء على التمييز وفق أسس عُصرية، جنسية أو آية "أخرى، مثل طبقة".

إلتزام المرأة بتحرير السود والمرأة على حدّ سواء له جذور عميقة مستقاة من تجاربها الحية، ويحتاج الأمر إلى أن تكون النسوية السوداء مُحددة بدقّة تاريخيا، حتى تتضح أصولها الخاصة، إلتزاماتها ومساراتها.

ثانيا - موقعية النسوية السوداء: نقل التجربة الميدانية إلى الأكاديمية

أشارت الباحثتان النسويتان ماريان هيرش وإيفلين كلير إلى أنّ النسويات الملونات كشفتنّ لنسويات الطبقة الوسطى البيض "مدى عنصريتهنّ هنّ أنفسهنّ" (بروكس وبايير، 2015، ص48)، فالتضامن بين النساء عبر الثقافات والطبقات والإثنيات، والذي يُشكّل عماد السياسة النسوية، اتّسم في جوهره بنوع من التجريد والتفكيك، ولم يكن ليجد أساسا صلبا لو غابت القيود المشتركة أو فقد المجتمع البطريركي الموجود بثبات نصب عينيه (ديورنغ، 2015، ص 287)؛ لذلك كان لزاماً على النسويات، خاصة البيض منهن، أن يُدركن، ولو متأخرات، أنّ الإنصات إلى تجارب "الأخريات"، والدخول في حوار مع النساء الفقيرات والملونات، من شأنه أن يُكسبهنّ فهماً أكثر اكتمالا وتنوعاً للواقع الاجتماعي؛ غير أنه في المقابل تؤكد هيل كولينز على أنّ نماء مجتمع النساء السود، في مجتمع يغلب عليه البيض، لا يتمّ إلا بتكليف وتماهي الملونات مع قواعد عالم البيض ذوي الامتيازات، تزامناً مع قيامهنّ بالتعامل مع موقعهنّ الاجتماعي الهشّ والمهمّش؛ إنّ فهم هذه الجوانب من حيوات النساء السود سيسمح للموقعية Positionality الأكاديمية ذات الامتيازات بأن تُصنّفها في "موقع لا تلحظُ منه التناقضات التي تتّضح للنساء الأفرو-أمريكيات، نظراً لأنّ المنتمين للداخل الاجتماعي أنفسهم قد أنتجوا تلك التناقضات". (بروكس وبايير، 2015، ص48).

تسعى إبستمولوجيا الموقفية النسوية Feminist standpoint epistemology إلى منح حيوات النساء صوتاً بُعد طول إسكاتٍ وتجاهل، مُراهنَةً على الكشف عن المعرفة الخفية الكامنة داخل تجارب النساء، رافعةً التحدي لتحقيق: رؤية وفهم العالم بعدسات وعبر تجارب النساء المقهورات، تطبيق رؤية ومعرفة النساء المقهورات على العمل والتغيير الاجتماعيين (بروكس وبأير، 2015، ص99)؛ لذلك تُعطي الموقفية النسوية الأولوية لحياة، خبرات وقيم المرأة كونها، ككيان خارج نطاق شبكة القوة ومؤسسات الهيمنة، أكثر قدرة على الفهم الموضوعي لما يجري في المجتمع، كما أنها أقل مصلحة في الحفاظ على الجهل، مُفترضةً أنها تمتلك صورةً أوضح للواقع الاجتماعي وما ينبغي القيام به لتغييره؛ وقد أطلقت رائدة الدراسات النسوية سارة هاردينج على هذا الاتجاه تسمية "الموضوعية القوية" Strong objectivity، من باب الفصل بين مطالب الموضوعية والذاتية، وتذهب إلى أن المعرفة المتموضعة أو المتموقعة (وبصفة خاصة المعرفة التي تنطلق من تجارب وحاجات الفئات المهمشة) يمكن أن تكون موضوعية (بسيلوس، 2018، ص 138)؛ إنها معرفةٌ تهدف إلى خلق "رؤية ملتزمة" لها "مصدر ما"، أي مجموعة معارف محدّدة بـ "أوضاع ومواقف معيّنة"، بمعنى أنّ الباحث النسوي يكون ملتزماً بـ "أخلاقيات العناية" Ethics of caring تجاه موضوع بحثه (بيبروليفي، 2011، ص، ص 73، 76)؛ ما يُوحى بضرورة إلحام المعرفة بالممارسة، فميزة البحوث النسوية هي جمعها بين كونها نظرية لبناء المعرفة ومنهجاً للبحث، أي مدخلاً لبناء المعرفة ودعوةً للفعل السياسي، على أساس المقولة الشهيرة "الشخصي هو سياسي" Personal is political .

تولّت هاربيت جاكوبس Harriet Jacobs توثيق سنين عمرها التي قضتها عبدةً في الجنوب الأمريكي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وعبرّت عن ذلك بـ "سعيّت مخلصاً لتقديم حكاية صادقة وعادلة عن حياتي في العبودية، وأنا أقرب منكم كما أنا، باعتباري مجرد أمّ عبدة فقيرة، وأنا لا أحكي ما سمعته، بل ما رأيته بنفسي وما عانيته"؛ إنّه وبفضل هذه الموقفية

نجحت جاكوبس في إثارة الوعي لدى نساء الشمال عبر كشفها الاستغلال، الألم الجسدي والقلق الذهني الذي أُجبرت على تحمّله لكونها عبدة؛ وهو ما ألهم نساء الشمال البيض لمواجهة مؤسسة العبودية وتنامي حركة مقاومتها بشكل عام (بروكس، 2015، ص، ص 97، 98).

على نحو مماثل، وفي 4 ماي 1884 رفضت المرأة السوداء إيدا ويلز بارنيت Ida Wells Barnett طلبَ مراقب تذاكر قطار تينيسي بأن تنتقل من المكان المخصص لمقطورة السيدات إلى مقطورة المدخنين والسود؛ تقول إيدا، البالغة حينها 22 عاما، "لقد قاومت جسدياً، ورغم أنه حاول إخراجي من المقعد إلا أنّي قمت بتثبيت أسناني في الجزء الخلفي من يده"؛ بعد أن غادرت إيدا القطار رفعت دعوى قضائية ضد سلك حديد شيسايبك وأوهايو، وحصلت على تعويض 500 دولار؛ لقد مثل هذا إلهاً لـ روزا باركس Rosa Parks بعد سبعين سنة، حين رفضت التخلي عن مقعدها في الحافلة إلى رجل أبيض، تلك الحافلة التي يُحتفظ بها اليوم في متحف هنري فورد؛ إنّ موقعية إيدا وروزا أسهمت في تغذية حركة الحقوق المدنية. (West, 2010, p180)

ترى باحثة الموقعية النسوية باتريشيا هيل كولنز أنّ لحظة ادّعاء المعرفة عن النساء يجب أن تسير جنباً إلى جنب مع "تجاربهنّ الملموسة"، لأنّ هذه التجارب بمثابة الضامن الأكبر لـ "معيار المصادقية" في ادّعاءات المعرفة تلك؛ وقد كُشفت بحوث باتريشيا عن مهارة النساء الأفرو-أمريكيات في بناء الجماعة، وعن دور فريد في رعاية أطفال الأسرة الممتدة، الصديقات والجيران، فمن خلال القيام بدور "الأمومة الأخرى" Other mothering (أي المساعدة في ملء الفراغ الناتج عن عدم القدرة المادية على الاستناد إلى مؤسسات رعاية الأطفال) فإنّ الأمّهات الأخريات الأفرو-أمريكيات، اللاتي يحظين بثقة الكثير للقيام بهذه المهمة، قد يؤدّين دوراً مهماً في الجمع بين أعضاء المجتمع وتوجيه مساره إلى الأمام؛ أكثر من ذلك قد ساهمن في تسليط الضوء على قضايا اجتماعية واقتصادية أشمل، أي عدم توفر دور رعاية للأطفال تتسم بالجودة وتكون في متناول اليد مادياً، إضافة لذلك كشف بحث هونداجنو سوتيلو Hondagneu-

Sotelo عن مفهوم "الأمومة عبر الحدود" والذي يُعنى بأمهاتٍ من أمريكا اللاتينية يعيشن ويعملن في الولايات المتحدة الأمريكية لتوفير الدعم المادي لأطفالهنّ، موازاةً مع انفصالهنّ عنهم في بلدانهم الأصلية، إذ اكتسبت هاته الأمهات مهاراتٍ عنايةً جديدةً تقع خارج الدّور التقليدي للأم المتمثّل عادةً في توفير الدّعم العاطفي، ليكتسحنّ بذلك أسلوب الدّعم التقليدي الذي لطالما احتكره الأب وهو العناية المادية (بروكس، 2015، ص، ص 101، 103).

عبّرت المرأة السّوداء أنيتا هيل عام 1991 عن تجربتها في التّعرّض للتحرش الجنسي من طرف وكيل النيابة الأسود كلارنس توماس، وبعد أن تحدّثت في جلسة استماع عامّة عُقدت أمام لجنة قضائية لمجلس الشيوخ، تقدّمت آلاف من النساء الأمريكيات وتحدّثنّ بدورهنّ عن مواقف من التّعدي والأذى الذي عانين منه في أماكن العمل؛ إنّه وبفضل موقعية هيل تمّت إعادة صياغة وتشديد قوانين التحرش الجنسي في مجال العمل، وسُمّي عام 1992، وهو العام التالي على شهادة هيل، بـ "عام المرأة"، وهو ذات العام الذي شهد انتخاب عدد غير مسبوق من النساء في الكونغرس الأمريكي؛ شيءٌ أُرجمَ بقدرٍ كبيرٍ إلى ما أُصطلحَ عليه لاحقاً بـ "أثر أنيتا هيل" (بروكس، 2015، ص، ص 109، 110)؛ وقد انعكس الأمر حتى على مناقشات أكاديمية خاصة بالنساء الأفرو-أمريكيات*؛ مع الإقرار بوجود طعون في ادّعاءات هيل أشهرها على الإطلاق تلك التي قادها الصحفي الشهير دافيد بروك**.

إنّه من المتعدّر فهم الثقافة السياسية الأمريكية دون أن يكونَ عامل العرق محوراً لها؛ ففي سنة 1865 تمّ تبنيّ التعديل الدستوري رقم 13 الذي جاء بـ "إلغاء العبودية"، بمعنى أنّه منح الحرية لكل الأمريكيين، غير أنه، وفي ما

*. أنظر في ذلك: Geneva Smitherman(ed). (1995). **African American women speak out on Anita Hill- Clarence Thomas**, Wayne state university press, Detroit

** أنظر في ذلك: David Brock. (1994). **The real Anita Hill**. The free press, New York.

أعتبرت ثغرة قانونية، استثنى هذا التعديل بعض الفئات من بينها المجرمين، ثغرةً استغلها جيداً المتضررون من سوء حالة اقتصاد الجنوب عقب الحرب الأهلية، ليتمّ تحويل أربعة ملايين عبد، كانوا يمثلون نظام إنتاج اقتصادي متماسك، إلى مجرمين امتلأت بهم سجون الولايات المتحدة الأمريكية، ووظفوا كسخرة بعد أن رُوج سابقاً أنهم نالوا حريتهم؛ لقد كان لهذا تبعات متراكمة امتدت إلى فترتي حكم نيكسون وريغان، فحربهما على المخدرات كانت في حقيقتها حملةً هدفها زجّ السود في السجون، وإنه لمن المفارقة أن تعتبر إدارة ريغان أن مخدّر الكراك المنتشر في أحياء السود هو أشدّ أعداء أمريكا، دون أن تولي اهتماماً مماثلاً لـ الكوكايين الذي شاع استعماله وسط الطبقات الراقية، وطبعاً أغلبها من البيض؛ كانت هذه الانتقائية الواضحة دافعا لبروز نسويات سود ثوريات أشهرهنّ أساتا شكور Assata Shakur اللّاجئة في كوبا، بعد فرارها من السجن سنة 1979، وأول امرأة تُدرج ضمن قائمة الإرهاب؛ أمّا أنجيلا دافيس Angela Davis فكانت رمزا للثورية السوداء المثقفة التي لم تكف فقط بهزم الآلة الدعائية الضخمة لـ نيكسون بل أنّ بروفيسورة الفلسفة ورئيسة جامعة كاليفورنيا لاحقاً أصبحت رائدة في مجال الدعوة إلى إصلاح السجون (نتفليكس، 13th، 2016) وحتى إلغائها نهائياً*.

إذاً، سمح هذا التحليل للمرأة السوداء بأن تتبوأ موقعاً يمكن لسياسة النسوية أن تنشأ منه، وذلك عوض النظر إليها كمجموعة "سماتٍ قابلة للتحديد بموضوعية"؛ لقد عبّرت ليندا ألكوف عن الأمر برمتها بالقول "إنّ كوني امرأة يعني أن أتخذَ موقعاً داخل سياقٍ تاريخي متحرّك، وأن نكون قدرات على اختبار ما نصنعه بهذا الموقع، وكيف نغيّر هذا السياق. من هذا المنظور لموقعٍ محدّد نوعاً ما، بالرغم من كونه مرناً وقابل للتحوّل، يمكن للنساء أنفسهنّ أن يوضّحن مجموعة من المصالح، وأن يُرسّخن السياسة النسوية". (ألكوف، 2010، ص 344).

*. انظر في ذلك: Angela Y. Davis. (2003). *Are prisons obsolete? Seven stories*. press, New York.

ثالثاً- حدود النسوية السوداء والانتقادات الموجهة لها

إنّ صعود النسوية وأفولها كان من أكثر الظواهر لفتاً للانتباه في التاريخ الغربي الحديث، ففي عام 1998 نشرت مجلة تايم على غلافها عنواناً رئيسياً "هل ماتت النسوية؟"؛ في الغرب لم يعد هناك إخضاع للمرأة أو تمييزٌ ضدها كما كان في الماضي، والفكرة القائلة "المرأة مكانها البيت" جرت تحييتها إلى الهامش؛ عديدٌ من الدول شرّعت الإجهاض ومنحت إجازات الأمومة، وأضحى تقديم رعاية الأطفال أمراً شائعاً؛ لذلك لم تعد الحركة النسوية جدّابة جدّاً، فالعديد من الشابات أشهرن أنفسهنّ على أنهن غير نسويات، وأغظنّ بذلك جيل أمهاتهن اللواتي قاتلن بصلاية شديدة من أجل تأمين الحقوق والإمكانات. (ديورنغ، 2015، ص 277، ص 279).

من جهةٍ موازية، تكون النسوية السوداء قد حقّقت الكثير من أمانيتها، وتخطّت معظم حواجزها بسلاسة وفي مجالاتٍ شتى، ففي الأدب النسوي منحت مارغريت أتوود دوراً محورياً للمرأة السوداء مويرا Moira في روايتها الشهيرة "حكاية أمة" *The Handmaid's tale**؛ لقد وصفتها أتوود بأنّها "مثل المصعد مع جوانب مفتوحة، جعلتنا نحسّ بالدوّار"؛ إنّ جموح مويرا وثوريتها في حكاية أمة حدثت لا يقاس بمكان إذا ما قورن بما هو فعليّ حقيقة في الجانب السياسي؛ تلك هي لحظة وصول ميشال أوباما Michelle Obama إلى منصب السيدة الأولى، إضافةً لكونها محامية بارعة وخريجة رابطة اللبلاب Ivy League بدرجتين، تُوسم ميشال بالزوجة المخلصة والأم المتفانية؛ البعض رأى فيها تجسيداً للنماذج الأصلية الخمسة المتوافرة في المرأة السوداء: الأم *The Mammy*، الإغواء الجنسي *The sexual siren*، ملكة الرفاه *The*

* - تمّ تحويل الرواية إلى مسلسل تلفزيوني سنة 2017، وقد فاز بالعديد من الجوائز، وهو عبارة عن دستوبيا (أدب المدينة الفاسدة)؛ حيث تطرح الرواية والمسلسل تصوّراً خيالياً لتحوّل المجتمع الأمريكي إلى الدكتاتورية عقب انتشار العقم بين النساء، إذ يتمّ تجميع القادرات على الحمل منهنّ، وتحويلهنّ إلى أرحام متنقلة لخدمة السياسيين والطبقات الغنية.

welfare Queen، الأمّ الحاكمة The matriarch والمرأة السوداء الغاضبة The angry black woman؛ فبقدر ما كانت مثالا للعطاء، الدّفء والمحبة، بقدر ما جسّدت صورة الملكة جيزابيل الفينيقيّة المتمرّدة؛ ورغم الشعبيّة الكبيرة التي حظيت بها لدى الأمريكيين، لا يزال من غير الواضح إن كان ظهور ميشال أوباما في الساحة العامّة انعكاساً لتصورات النساء السود بشكل عام. (Porter and Parks, 2011, p, p 116, 119).

بصفتها نقداً جوهرياً، وبصفتها متظلمات ومصابات بجروح شتى، قدّمت الحركة النسوية السوداء ورائداتها على أساس أنّهما طعنٌ في مؤسّسية الحركة النسوية، سواءً كانت بيضاء أو ليبرالية تعددية؛ لقد أشار التنظير النسوي إلى الممارسة الحرجة التي تعمل، وربما تخترع، في حدودٍ مستحيلة للمأسسة (Bliss, 2016, p729)، بالمقابل يبدو أنّ رهان النسوية السوداء على "التقاطع" لم يترك ذلك الأثر المرجو على حالة المرأة الأفرو أمريكية، سواءً داخل الأكاديمية أو خارجها، في هذا الصّد ظهر التقاطع وكأنه ضحية للنجاح الذي حققه، بمعنى أنّ مُضيّ مقاربة "التقاطع" في الاستحواذ على مكانة الحركة النسوية السوداء هو بمثابة إعلان قبل الأوان عن وفاة هذه الأخيرة؛ ولعلّ الأكاديمية السوداء جينيفر ناش Jennifer Nash هي أحسن من عبّر عن هذه المفارقة القائلة "إنّ تحويل التقاطع إلى صنمٍ يُعبد يُشير إلى نوع من يوتوبيا التنظير النسوي، لقد أصبحت "إلخ. etc." أرض ميعادٍ للكثير من الكتابات حول الهوية (العرق، الجنس، الطبقة، العمر، 'إلخ')؛ إنّ تعظيم التقاطع على هذا النحو والرغبة في قراءة جميع أشكال الاختلاف هي، على وجه التحديد، رغبةٌ في التأكيد على ضيق الأفق الفكري للنساء السّود، خاصة إذا كنّ يعيشن أو يكتبن عن الولايات المتحدة الأمريكية؛ وهي رغبةٌ شبيهة بما عبّرت عنه الكاتبة السّوداء آن دوسيل Ann DuCille "هذه النزعة الأكاديمية حريصة على 'جعل هذا' (التقاطع) يدلّ على اختلاف الأسود، دون الاهتمام باختلاف السّواد الأكبر والأهم". (Bliss, 2011, p,p 732, 733)

تشرح ناش عملية "إضفاء الطابع المؤسسي على الهوامش"، أين تتحكم في التقاطع اثنين من "التوجهات الزمنية": الأولى هي مشروع "نسوية المستقبل" التي ترى في التقاطع حركةً نحو المستقبل المحتوم، فلا بدّ من الانتباه للمزيد منه، واعتماد تخصصات متنوعة منه، أمّا الثّانية فهي "نسوية الماضي" التي تدعو إلى تجاوز التقاطع والتخلّص من هيمنته؛ في كلتا الحالتين تؤكد ناش أنّ الخطر المتصوّر لـ التقاطع يتوقّف على ارتباطه بجسد المرأة السوداء، أمّا وعوده فتتأتى من استعداده لتجاوز الموقع الاجتماعي 'المتصوّر' للمرأة السوداء؛ ووفق قراءة ناش "أجساد النساء السّود ليست موضوعات اللّحظة الحالية، إنّها في الواقع مبنية منذ أمدٍ طويل، والانشغال المستمر للدراسات النسوية بـ التقاطع يُوقّع نوعاً من العنف على أجساد النساء السّود، من باب افتراض النسوية السّوداء أنّ هذه الأجساد هي على الدوام مفارقات تاريخية بالفعل". (Bliss, 2011, p733)

إنّ وضع النسوية السوداء للشّوفينية الذكورية في سياقٍ سياسي واضح جُوبه بموجةٍ من الانتقادات، كما أُنقِدن في تعريف أنفسهنّ بـ "الزّنوج" (Breines, 2006, p113)؛ غير أنّ النقد الأكثر جرأة، دقّة وإثارة للجدل طرحته الباحثة السّوداء ميشال والاس Michelle Wallace؛ وميزة نقدها هي تحميلها التّصف الثاني من المجتمع الأسود (الرجل الأسود) مسؤولية إخفاقات الحركة النسوية الملونة؛ وإنّ بروز قادة حركة القوّة السوداء أمثال مالكولم أكس وستوكلي كارمايكل هم "نموذج جديد وواعد"، حسب والاس، لما يُفترض أن يكون عليه الرجل الأسود، ففي كتابها "الأسود مفتول العضلات" The black macho رأت والاس أنّ الرجل الأسود لم يسع للحصول على ما يكفي من لوازم القوة لتغيير المجتمع الرأسمالي الذي يتمتع فيه البيض بالسلطة مقابل قتال السّود من أجل بقايا الطعام، وبدل ذلك ألقى اللّوم على المرأة السوداء، أين انخدع بالصّور النمطية التي أظهرته على أنه قوي الجسم والنشاط الجنسي (Black Buck).

لقد نجحت والاس في إثارة محاورّة لتقرير السيناتور موينيهان 1965 Moynihan report الذي اعتبر أنّ مجتمع الزّنوج قد جُرّ إلى الهيكل الأمومي

لأنه يسير خارج فلك المجتمع الأمريكي ويؤخّر بشكل خطير تأخر المنهج العام، ما يفرض آلياً عبئاً مدمراً على الذكور الزنجي؛ قرأت والاس هذا التقرير على أنه محاولة لدفع الرجل الأسود للشعور بتهديد النساء وتحريضه على استعادة "رجولته" عوض تركيزه على الخطر الحقيقي وهو العنصرية البيضاء، خصوصاً أن التقرير ظهر في عزّ نشاط حركة الحقوق المدنية، مُبدياً (التقرير) تجاهله للظروف التي أوجدت هذا النظام الأمومي فـ "لا عجب أنه ضمن هذا المجتمع الأبوي، الأبيض والعنصري، يكون الوصول إلى امرأة بيضاء هو رمز القوة والإنجاز للرجل الأسود، ويجب أن تكون المرأة السوداء أكثر خضوعاً، وقبل كل شيء يبقى فيها الأسود الكبير مغلقاً"، كتبت ميشال والاس، منتقدة في ذات الوقت عدم السماح للنساء السود بانتقاد الرجال عكس النساء البيض، لذلك كانت والاس من مشجعي تشكيل منظمة تتعامل مع قضاياهن، وقد دوّنت اسمها ضمن مؤسسي المنظمة الوطنية للنسوية السوداء NBFO سنة 1973. (Harris, 2009 , p,p 35,39).

إنّ الإحباط الذي ألمّ بالنسوية السوداء ومعاناة منتسباتها من العزلة سواءً من داخل عرقهنّ أو من المخالف لهنّ، عبّرت عنه والاس بوضوح في المقطع التالي "إذا كانت إحدى مشاهير الإناث السود جميلة، مثيرة أو متزوجة من رجل أبيض، فإنهم يدعونها عاهرة بدون موهبة، وإذا كانت أنيقة ورفيعة الثقافة، فهي تبدو مضحكة، حادة المزاج وفي حاجةٍ إلى تأديبٍ جنسي قاسٍ، أمّا إذا كانت مستقلة و متمردة فستدعى بالسّحاقية، ولا ضير في أن تبقى محتقرة إذا ما أرادت التواصل مع الجمهور الأبيض". (Harris, 2009 , p ,39)

الختامة:

"من الحقائق البديهية أنّ الرجال والنساء خلّقوا متساوين، وهبهم الخالق حقوقاً غير قابلة للتصرف، كالحق في الحياة، الحرية والبحث عن السعادة، ولتأمين هذه الحقوق تمّ تأسيس الحكومات، والتي بدورها تستمدّ شرعية وجودها من موافقة المحكومين، لذلك كلّما أصبح شكلٌ من أشكال الحكم مدمراً لهذه الحقوق يكون من حقّ الذين يعانون منه أن يرفضوا

الانصياع والولاء؛ وإنه لمن الجلي أنّ تاريخ البشرية يجسّد تكراراً لمظالم وانتهاكات الرّجل للمرأة".

تجسّد الفقرة السابقة مقتطفات من "إعلان الشّجون" 1848 في منطقة شلالات سينيكا أين نجحت الناشطتان الحقوقيتان إليزابيث ستانتون ولوكريسيا موت في حشد مائتان وستون امرأة وأربعون رجلاً بهدف صياغة إعلان يُشرعن سياسات مستقبل المرأة؛ وهو مسارٌ كُمل سنة 1920 بالتعديل الدستوري التاسع عشر أو ما أُطلق عليه بـ "تعديل سوزان أنتوني" الذي منح المرأة حقّ التصويت.

إنّ كان هذا يرمز إلى كفاح غير هيّن للنساء البيض في سبيل نيل المساواة مع نظرائهنّ الرجال، فإنّ مسالك النساء السود لبلوغ مرامهنّ كانت أكثر صعوبة وتعقيداً؛ لا يوجد دليلٌ أحسن من ذلك على صيحة المناضلة الأولى سوجورنر تروث "لقد تحمّلتُ ثلاثة عشر طفلاً، وكنتُ شاهدةً على كل فظائع العبودية، وعندما صرخت بألمٍ أمّي! لم يسمعني أحد غير يسوع، أنا لست امرأة".

إذا أُريد لـ هيلاري كلينتون أن تتال الاحترام فهي في المقام الأول امرأة بيضاء، وإذا فُدر لـ باراك أوباما أن ينال توقير التاريخ كونه أول أسود يصل للبيت الأبيض، فسيظل رجلاً قبل كل شيء، أما سوجورنر تروث فهي مختلفة عن هذا وتلك؛ هي عبدة سوداء قاومت نظاماً اجتماعياً وسياسياً معقداً؛ لم تتل الدّعم الكافي من مثيلاتها البيض في وقتها، وعانى بنو جنسها من سطوة الذكر لاحقاً؛ لذلك تبقى سوجورنر تروث، وورثاتها من النساء السود، أيقونةً للاستثناء، لأنهنّ جسّدن أسمى معاني الشّجاعة.

قائمة المراجع:

أ - باللغة العربية:

- ألكوف ليندا. (2010). الحركة النسوية الثقافية مقابل ما بعد البنيوية: أزمة الهوية في النظرية النسوية، في: ويندي كيه، كولمار وفرانيسيس بارتكوفيسكي (محرّرين). النظرية النسوية: مقتطفات مختارة، ترجمة: عماد إبراهيم، الأهلية للنشر والتوزيع. عمّان.

- بروكس أيجيل وشارلين ناجي هيس بايبر. (2015). دعوة إلى البحث النسوي، ط1، في: شارلين ناجي هيس بايبر وباتريشيا لينا ليفي، مدخل إلى البحث النسوي ممارسة وتطبيقا، ترجمة: هالة كمال، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
- بسيلوس ستانس. (2018). فلسفة العلم من الألف إلى الياء، ط1، ترجمة: صلاح عثمان، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
- ديورنغ سايمون. (2015). الدراسات الثقافية، مقدمة نقدية، ترجمة: ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، الكويت.
- هس شارلين بيبر وباتريشيا ليفي. (2011). البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، ط1 ترجمة: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

ب. باللغة الأجنبية:

- Bliss James. (2016). Black Feminism out of place, Journal of women in culture and society, Vol 41, no4, The university of Chicago.
- Breines Winifred. (2006). The trouble between us: An uneasy history of white and black women in the Feminist movement, Oxford university press, New York.
- Brock David. (1994). The real Anita Hill. The free press, New York.
- Cooper Anna Julia. (1988). A voice from the South, 1st published, Oxford University Press, U.S.A.
- Crenshaw Kimberlé. (1989). Demarginalizing the intersection of race and sex: A black Feminist critique of antidiscrimination doctrine, Feminist theory and antiracist politics, University of Chicago legal forum.
- C. Shanette Porter and Gregory S. Parks. (2011). Michelle Obama: Redefining images of black women, in: Gregory S. Parks and Matthew Hughey (Ed), *The Obamas and a (post) racial America*, Oxford university press, United States of America.
- Davidson Maria Del Guadalupe and others. (2010). Black feminism and continental Philosophy, Suny Press, University of New York.
- Geneva Smitherman (ed). (1995). African American women speak out on Anita Hill- Clarence Thomas, Wayne state university press, Detroit.
- Harris Duchess. (2009). Black Feminist politics from Kennedy to Clinton, Palgrave MacMillan, New York.
- Hooks Bell. (1982). Aint'i woman, Black women and feminism, 1st published, Pluto Press, London.

- M. Carolyn West. (2010). Resistance as recovery: Winning a sexual harassment complaint. In: Aaronette M. White (Ed). *African Americans doing feminism: Putting theory into everyday practice*, Suny Press, New York.
- M. Vivian May. (2007). Anna Julia Cooper, visionary black Feminist, Routledge, New York.
- Sheftall Beverly Guy. (1995). Words of fire, An anthology of African-American Feminist thought, The new press, New York.
- Y. Angela Davis. (2003). Are prisons obsolete ? Seven stories press, New York. □

ج - السمي البصري:

.الفيلم الوثائقي 13TH .. (2016)، إنتاج شبكة نتفليكس Netflix.